

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ
لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ
الْعَتِيقِ﴾ [الحج: 32 - 33]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

تأكيد ما سبق
من التوحيد
والإخلاص

جاءت الآيتان مفتحتين بأداة الإشارة البعيدة لتأكيد ما تقدم من تعظيم أمر التوحيد، ولتعظيم ما هو مسبب عن التوحيد، فقال: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعِيرَ اللَّهِ﴾⁽¹⁾، وتعظيم شعائر الله يضي تعظيماً على التوحيد وتوابعه، فهذه الآية أعم مما قبلها، وتعود عليها بإضافات معنوية: فبتعظيم الشعائر تعظم منافعها أيضاً، فيكون من المتلقين إقبال شديد عليها، والمنافع حاملة لذوي البصائر على التفكير فيها لا سيما مع تفاوتها، والتفكير فيها موصل إلى التقوى بمعرفة أنها من الله، وأنه قادر على ما يريد، وأنه لا شريك له⁽²⁾، فالآية الثانية من هاتين الآيتين امتداد للأولى وتفصيل لها.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿شَعِيرَ﴾: الشعر معروف، وجمعه: أشعار، ومنه استعير: شعرت كذا، أي: علمت علماً في الدقة كإصابة الشعر، وسمي الشاعر شاعراً لفطنته ودقة معرفته⁽³⁾، وأشعرته، فشعر: أدريته فدرى⁽⁴⁾، ومشاعر الحج: معالمه الظاهرة للحواس، والواحد: مشعر، ويُقال أيضاً: شعائر الحج، والواحد: شعيرة، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: 198]، وقال: ﴿لَا تَحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ﴾ [البقرة: 198].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 223 / 23، والبقاعي، نظم الدرر: 44 / 13.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 46 / 13.

(3) الراغب، المفردات: (شعر).

(4) الجوهري، الصحاح: (شعر).

12، أَي: مَا يُهْدَى إِلَى بَيْتِ اللَّهِ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا تُشْعَرُ، أَي: تَعْلَمُ بِأَنْ تُدْمَى بِشَعِيرَةٍ، أَي: حديدَةٍ⁽¹⁾، وَالشَّعَائِرُ أَيضًا: كُلُّ شَيْءٍ لِلَّهِ تَعَالَى فِيهِ أَمْرٌ أَسْعَرَ بِهِ وَأَعْلِمَ⁽²⁾.

(2) ﴿مَحَلَّهَا﴾: الْمَعْنَى الْمَحَوْرِيُّ لِلْحَاءِ وَاللَّامِ: فَتَحَّ الشَّيْءُ⁽³⁾، وَفَكَ مَا كَانَ مَرْبُوطًا مُوْتَقًّا⁽⁴⁾، كَحَلِّ الْعُقْدَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ: ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ [طه: 27]، وَحَلَلْتُ: نَزَلْتُ، أَصْلُهُ مِنْ حَلِّ الْأَحْمَالِ عِنْدَ النَّزُولِ، ثُمَّ جُرِّدَ اسْتِعْمَالُهُ لِلنُّزُولِ، فَقِيلَ: حَلَّ حُلُولًا، وَأَحْلَهُ غَيْرُهُ، قَالَ: ﴿وَأَحْلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: 28]، وَيُقَالُ: حَلَّ الدَّيْنُ: وَجَبَ أَدَاؤُهُ، وَالْمَحَلَّةُ: مَكَانُ النَّزُولِ، وَعَنْ حَلِّ الْعُقْدَةِ اسْتَعِيرَ قَوْلُهُمْ: حَلَّ الشَّيْءُ حَلًّا، قَالَ ﷺ: ﴿وَكُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: 168]، وَمِنْ الْحُلُولِ: أَحَلَّتِ الشَّاةُ: نَزَلَ اللَّبَنُ فِي ضَرْعِهَا، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ [البقرة: 196]⁽⁵⁾، وَالْمَحَلُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَحَلَّهَا﴾ مَصْدَرٌ مِمِّيٌّ مِنْ حَلَّ يَحِلُّ؛ إِذَا بَلَغَ الْمَكَانَ، وَاسْتَقَرَّ فِيهِ، وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنْ نَهَايَةِ أَمْرِهَا، كَمَا يُقَالُ: بَلَغَ الْغَايَةَ، وَنَهَايَةُ أَمْرِهَا: النَّحْرُ أَوْ الذَّبْحُ⁽⁶⁾.

(3) ﴿الْعَتِيقُ﴾: الْعَتِيقُ: الْمُتَقَدِّمُ فِي الزَّمَانِ أَوْ الْمَكَانِ أَوْ الرُّتْبَةِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلْقَدِيمِ: عَتِيقٌ، وَلِلْكَرِيمِ: عَتِيقٌ، وَعِتَاقُ الْخَيْلِ وَالطَّيْرِ: كِرَائِمُهَا، وَيُقَالُ: فَلَانٌ عَتِيقُ الْوَجْهِ، أَي: جَمِيلُهُ، وَيُقَالُ لِمَنْ خَلَا عَنِ الرُّقَى: عَتِيقٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: 29] قِيلَ: سُمِّيَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ مُعَتَّقٌ مِنَ الْجَبَّارِينَ، لَمْ يَقْصِدْهُ جَبَّارٌ إِلَّا قِصَمَ، وَقِيلَ: لِأَنَّهُ مُعَتَّقٌ مِنَ الطُّوفَانِ، وَقِيلَ: لِأَنَّهُ مُقَدَّمٌ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 96]⁽⁷⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُخْبِرُ اللَّهُ ﷻ عَنْ تَعْظِيمِ شَعَائِرِهِ، فَيَقُولُ: وَمَنْ يُعْظِمْ شَعَائِرَ اللَّهِ الَّتِي هِيَ نَعْمُ الْهَدْيِ، فَإِنَّ تَعْظِيمَهَا مِنْ تَقْوَى قُلُوبِكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - ثُمَّ يُخْبِرُ عَمَّا جَعَلَ فِي هَذِهِ الْهَدَايَا مِنَ الْمَنَافِعِ،

(1) الرَّاغِبُ، الْفُرْدَاتُ: (شعر).

(2) ابْنُ عَطِيَّةٍ، الْحَزْرُ الْوَجِيْزُ: 121/4.

(3) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَابِيسُ اللُّغَةِ: (حلل).

(4) جَبَلٌ، لِلْعَجْمِ الْاِسْتِقَاقِيَّ: (حلل).

(5) الرَّاغِبُ، الْفُرْدَاتُ، وَالسَّمِينُ، عُمْدَةُ الْخَفَاطِ: (حلل).

(6) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 258/17.

(7) الرَّاغِبُ، الْفُرْدَاتُ، وَالسَّمِينُ، عُمْدَةُ الْخَفَاطِ، وَالزَّمْخَشَرِيُّ، أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ، وَالزَّبِيدِيُّ، تَاجُ الْعُرُوسِ: (عتق).

تعظيم الهدي
من تقوى
القلوب

لفصل الخطاب
والتنبيه على
أهمية ما سيذكر
بعده

الرفع على
الخبرية على
الأظهر

فيقول: لكم - أيها المؤمنون - فيها منافع متعددة متنوعة من لَبِنِهَا وصوفها وأوبارها وأشعارها وركوبها تنتفعون بها إلى أن تنحروها، ثم محل الهدي وانتهاؤه إلى البيت العتيق، وهو الكعبة المشرفة⁽¹⁾.

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

بلاغة الفصل باسم الإشارة ﴿ذَلِكَ﴾:

اسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَتِيرَ اللَّهِ﴾ من فصل الخطاب، وهو مستعمل هنا للفصل بين كلامين أو بين وجهين من كلام واحد، والقصد منه التنبيه على الاهتمام بما سيذكر بعده، وهو من أساليب الاقتضاب في الانتقال، والمشهور في هذا الاستعمال لفظ (هذا)، كما في قوله تعالى: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ [ص: 55]، وهو كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني، فإذا أراد الخوض في معنى آخر؛ قال: هذا وقد كان كذا وكذا⁽²⁾.

إعراب اسم الإشارة ﴿ذَلِكَ﴾:

الأظهر أن ﴿ذَلِكَ﴾ في قوله جل وتبارك: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَتِيرَ اللَّهِ﴾ خبر مبتدأ مضمّر، أي: الأمر والشأن ذلك⁽³⁾، كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني، ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر؛ قال: هذا وقد كان كذا وكذا⁽⁴⁾، وقيل: هو مبتدأ خبره محذوف، أي: ذلك الأمر الذي ذكرته⁽⁵⁾، أو ذلك أمر الله⁽⁶⁾، أو ذلك بيان أو ذكر⁽⁷⁾، وقيل: هو في محل نصب، أي: امتثلوا ذلك⁽⁸⁾.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 18 / 621 - 623، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5 / 421.

(2) الزمخشري، الكشاف: 3 / 154، والطبري، فتوح الغيب: 10 / 476، وابن عاشور، التحرير والتنوير:

251 / 17.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4 / 121، والسمين، الدرر لصون: 8 / 269.

(4) الزمخشري، الكشاف: 3 / 154.

(5) السمين، الدرر لصون: 8 / 269.

(6) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 12 / 56.

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17 / 251.

(8) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 12 / 56.

نكتة التعبير باسم الإشارة للبعيد ﴿ذَلِكَ﴾:

أوثر في قوله جلّ من قائل: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعِيرَ اللَّهِ﴾ اسم الإشارة للبعيد؛ للدلالة على بُعد منزلة المشار إليه؛ كناية عن تعظيم مضمون ما قبله⁽¹⁾، أي: الأمر العظيم الكبير ذلك، فمن راعاه؛ فاز، ومن حاد عنه؛ خاب وخسر⁽²⁾.

تعظيم شأن
المشار إليه
وتفخيمه

علة تكرار اسم الإشارة ﴿ذَلِكَ﴾:

تكرّر اسم الإشارة ﴿ذَلِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: 30]، وقوله هنا: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعِيرَ اللَّهِ﴾، والنكتة في هذا التكرار: أن ﴿ذَلِكَ﴾ في الموضعين من فصل الخطاب، بيانه أنه لما ذكر تعالى نبذاً من مناسك الحج - وكان حديثاً في بيان التّوصية في حُرْمَتِ الحجّ وتعظيم شعائر الله - ناسب أن يذكر سائر المحرّمات استطراداً؛ فقدّم من أمّهات الخباثت ما يستتبع سائرهما من الشّرك وقول الزّور، وجعل التّخلّص إلى ذكرهما ما كانا يُعظّمونه من القرايين تشبيهاً لها بالمعبود بالحقّ، ولما أراد العود إلى ما بدأ به من حديث المناسك؛ أعاد بفصل الخطاب، فقال: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾⁽³⁾، وهذا التّكرار من وجوه التّأليف بين المعاني المختلفة التي جرّت في حيز اسم الإشارة ﴿ذَلِكَ﴾ في الموضعين، وهو من وجوه التّماسك بين معانيها.

الرجوع إلى
حديث المناسك
بعد الانتقال إلى
غيره

نوع الواو ودلالتها في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ﴾:

قيل: الشّعائر في قوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعِيرَ اللَّهِ﴾ لقُبْ لمناسك الحجّ، وقيل: المراد بها: نعم الهدى، قال تعالى: ﴿وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾، فعلى التفسير الأوّل تكون

الواو للعطف
على ما سبق
عمومه اهتماماً
بالمعطوف
الأخصّ

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 59/ 13.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 44/ 13.

(3) الطيّب، فتوح الغيب: 476/ 10.

جملة ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ إلى آخرها عطفًا على جملة ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾ [الحج: 30] إلى آخرها، وشعائر الله أخص من حُرُمَاتِ اللَّهِ، فجاء عطف هذه الجملة للعناية بالشعائر؛ لأن ذكر الأخص بعد الأعم للاهتمام.

وعلى التفسير الثاني للشعائر تكون جملة ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ عطفًا على جملة ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: 28]؛ تخصيصًا لها بالذكر بعد ذكر حُرُمَاتِ اللَّهِ⁽¹⁾.

دلالة ﴿وَمَنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ﴾:

﴿وَمَنْ﴾ في قول الله جلّ ذكره: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ شرطية، والغرض من استعمال أسلوب الشرط في هذه الآية الحث على تعظيم الشعائر والتحريض عليه⁽²⁾، والربط بين تعظيم الشعائر وتقوى القلوب؛ إذ التقوى هي الغاية من مناسك الحج وشعائره.

نكتة التعبير بصيغة المضارع ﴿يُعَظِّمْ﴾:

عبر بصيغة المضارع في قول الله جلّ كلمته: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾؛ للدلالة على استمرار تعظيم شعائر الله وتجديده، وأن ذلك ينبغي أن يكون شأن المسلم على الدوام حتى يصير بمنزلة صفة من صفاته الراسخة، فأصل هذا التعظيم لشعائر الله ثابت راسخ في نفس المؤمن، ثم إنه يتجدد بتجدد ما يدعو إليه، وما يتسبب فيه.

غرض التعبير بصيغة الجمع ﴿شَعَائِرَ﴾:

يحتمل أن يراد بالشعائر في قوله تعالى شأنه: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ

(مَنْ) أسلوب
شرط للحسم
والفصل والترتب

تعظيم الشعائر
غرس ينمو
ويكبر

الإشارة إلى
التعدد والتنوع

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 256 / 17.

(2) زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي: 111 / 6.

يُعْظِمُ شَعَائِرَ اللَّهِ مناسكُ الحجِّ كلها؛ فيكونُ التَّعبيرُ بصيغةِ الجمعِ ظاهرًا لكثرةِ مناسكِ الحجِّ وتعدُّدها، ويحتملُ أن يُرادَ بها نَعَمُ الهَدْيِ على وجهِ الخصوصِ، والتَّعبيرُ بصيغةِ الجمعِ باعتبارِ تنوعِها مِنْ حيثُ هي غَنَمٌ أو إِبِلٌ أو نَحُوهُما، وَمِنْ حيثُ كونُها لقارِنِ أو مُتمتَّعٍ أو غيرِهما، والتَّعبيرُ بجمعِ الكثرةِ هنا على ظاهره؛ إن روعيَتْ أفرادُ نَعَمِ الهدْيِ، وعلى غيرِ ظاهره؛ إن روعيَتْ أجناسُها، ويكونُ للتَّعظيمِ.

بلادةُ الإضافةِ إلى لفظِ الجلالةِ وسرُّ اختياره:

إضافةُ الشَّعَائِرِ إلى لفظِ الجلالةِ في قولِ الحقِّ تباركَ شأنُهُ: **﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾** لتشريفِ الشَّعَائِرِ وتعظيمِها⁽¹⁾ مِنْ حيثُ نَسَبُها إلى اللَّهِ تعالى، وفي هذهِ الإضافةِ أيضًا تعليلٌ للتَّعظيمِ، كأنَّهُ قيلَ: وَمَنْ يُعْظِمِ الشَّعَائِرَ؛ لَأَنَّها شَعَائِرُ اللَّهِ، فهي ليستَ واجبةٌ التَّعظيمِ لذاتها، بل لَأَنَّها لله تعالى⁽²⁾.

وعُبرَ باسمِ الجلالةِ دونِ الرَّبِّ ونحوهِ مِنَ الأسماءِ والصفاتِ؛ لأنَّ سياقَ الآيةِ حديثٌ ذمٌّ للشُّركِ وأهلِهِ، وتبعًا لذلك حديثٌ مدحٌ للتَّوْحِيدِ وأصحابِهِ، فتعظيمُ تلكِ الشَّعَائِرِ يصبُّ في التَّوْحِيدِ، ويُرسِّخه في النَّفسِ والعقلِ والقلبِ.

نوعُ الفاءِ ودلالاتُها في قوله: ﴿فَإِنَّهَا﴾:

الفاءُ في قوله سُبْحَانَهُ: **﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾** واقعةٌ في جوابِ الشَّرْطِ، وهو قوله تعالى: **﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾**⁽³⁾، والرابطُ بينَ الشَّرْطِ وجوابِهِ هو العُمومُ في قوله: **﴿الْقُلُوبِ﴾**؛ فَإِنَّ مِنْ جملةِ الْقُلُوبِ قُلُوبَ الَّذِينَ يُعْظِمُونَ شَعَائِرَ اللَّهِ، والتَّقديرُ: (فقد

تعظيمُ الشَّعَائِرِ
وتشريفُها مِنْ
التَّوْحِيدِ

الفاءُ واقعةٌ في
جوابِ الشَّرْطِ

(1) ابن التَّمجيد، حاشية على البيضاوي: 62 / 13.

(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 4982 / 9.

(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 4982 / 9.

حَلَّتِ التَّقْوَى قَلْبَهُ بِتَعْظِيمِ الشَّعَائِرِ؛ لِأَنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (، أَيِ: لِأَنَّ تَعْظِيمَهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ⁽¹⁾).

غرض التوكيد بر(إِنَّ) في قوله: ﴿فَإِنَّهَا﴾:

جاء بالتوكيد في قول الله ﷻ: ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ لتأكيد حصول التقوى لقلوب الذين يعظمون شعائر الله، وللاهتمام بمضمون الكلام، فإنَّ التقوى شأنها عظيم، وحصولها في قلب العبد من النعم العظيمة الجليلة، فإنَّ القلوب هي محلُّ نظر الحق ﷻ إلى العبد.

مرجع الضمير في قوله: ﴿فَإِنَّهَا﴾:

في مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ وجهان: أحدهما: أنَّ الضمير للشعائر على حذف مضاف، والأصل: فَإِنَّ تَعْظِيمَهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ، فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه، فرجعت الكناية إلى الشعائر⁽²⁾، وفي هذا الحذف نكتة لطيفة؛ وهي أنَّ نفس الشعائر عُدَّتْ مِنَ التَّقْوَى للمبالغة في كون امتثالها مِنَ التَّقْوَى⁽³⁾، والثاني: أنَّ الضمير للمصدر المفهوم من الفعل قبله، أَيِ: فَإِنَّ التَّعْظِيمَةَ مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ⁽⁴⁾، والأوَّل هو الأعلى لتكثير الفائدة المناسبة للسياق عليه.

معنى ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾:

تحتل ﴿مِنْ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ أنَّ تكون تبعيضية، أَيِ: فَإِنَّهَا بَعْضُ تَقْوَى الْقُلُوبِ، وكون التعظيم مِنَ التَّقْوَى - مع أنَّها تَوْقِي النَّفْسِ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ - باعتبار أنَّه يتضمَّنُ تَرْكَ الْمُحَرَّمِ المنهِي عنه⁽⁵⁾، وتحتلُّ أنَّ تكون لابتداء الغاية، أَيِ: فَإِنَّ تَعْظِيمَهَا نَاشِئٌ مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ⁽⁶⁾.

تأكيد حصول
التقوى للقلوب

راجع لمصدر
الفعل أو مضاف
حذف للمبالغة

القلب منبع
الشعور
بالتعظيم
وتقوى القلوب
سبب لشدة
تعظيم الشعائر

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 257 / 17.

(2) السمين، الذر للضوء: 273 / 8، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 106 / 6.

(3) القونوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 60 / 13.

(4) الفراء، معاني القرآن: 225 / 2، وابن جرير، جامع البيان: 622 / 18، وابن عطية، المحرر الوجيز: 121 / 4.

(5) القونوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 60 / 13.

(6) البقاعي، نظم الدرر: 45 / 13، واللويسي، روح المعاني: 144 / 9.

وتَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ لِلتَّعْلِيلِ، أَيِ: فَإِنَّ تَعْظِيمَهَا لِأَجْلِ تَقْوَى الْقُلُوبِ⁽¹⁾، وهو وجهٌ بليغٌ يدلُّ على أَنَّ تَعْظِيمَ الشَّعَائِرِ لم يكن إِلَّا بِسَبَبِ مَضْمُونِ الْقُلُوبِ الَّتِي هِيَ مَنْبَعُ الشُّعُورِ بِمَا يُعْظَّمُ أَوْ يُحَقَّرُ، فَكُلَّمَا تَرَقَّى الْقَلْبُ فِي مَدَارِجِ التَّقْوَى؛ ازدادَ تَعْظِيمُهُ لشعائِرِ اللَّهِ.

دلالة الإضافة في: ﴿تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾:

أُضِيفَتِ التَّقْوَى إِلَى الْقُلُوبِ فِي قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾؛ لِأَنَّ حَقِيقَةَ التَّقْوَى فِي الْقَلْبِ⁽²⁾، فَإِذَا ثَبَتَتْ فِيهِ، وَتَمَكَّنَتْ؛ ظَهَرَ أَثَرُهَا فِي سَائِرِ الْأَعْضَاءِ⁽³⁾، وَلِأَنَّ الْقَلْبَ هُوَ مَحَلُّ نَظَرِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِلَى الْعَبْدِ، وَمَحَلُّ قِيَاسِ تَعْظِيمِهِ لشعائِرِ اللَّهِ⁽⁴⁾.

سُرَّ استعمالِ الْقُلُوبِ دُونَ الْأَفئِدَةِ:

عَبَّرَ بِالْقُلُوبِ دُونَ الْأَفئِدَةِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ شَأْنُهُ: ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾؛ لِأَنَّ الْأَفئِدَةَ مَوَاضِعُ الْعَوَاطِفِ وَالْهَوَى، وَالْقُلُوبَ مَوَاضِعُ الْعَقْلِ وَالْيَقِينِ وَالْوَحْيِ وَالذِّينِ، وَهِيَ الْمُنَاسِبَةُ لِلسِّيَاقِ هُنَا؛ لِأَنَّهُ لِلْحَدِيثِ عَنْ تَعْظِيمِ شَعَائِرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

عَلَّةُ فَصْلِ الْجُمْلَةِ:

فُصِّلَ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ عَمَّا قَبْلَهُ، وَلَمْ يَقُلْ: (ولكم فيها منافع إلى أجلٍ مُّسَمًّى) بِالْعَطْفِ؛ لِمَا بَيْنَ هَذِهِ الْجُمْلَةِ وَمَا قَبْلَهَا مِنْ شَبْهِ كَمَالِ الْإِتِّصَالِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ اسْتِثْنَاءٌ بَيَانِيٌّ جَوَابًا عَنْ سُؤَالٍ مُّقَدَّرٍ، كَأَنَّهُ قِيلَ: مَا الْحِكْمَةُ فِي أَنَّ اللَّهَ بَالِغٌ فِي تَعْظِيمِ ذَبْحِ الْحَيَوَانَاتِ هَذِهِ الْمُبَالَغَةُ؟ فَأُجِيبَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾⁽⁵⁾، وَقِيلَ: الْجُمْلَةُ حَالٌ مِنَ الْأَنْعَامِ

الْقَلْبُ هُوَ مَحَلُّ
التَّقْوَى وَمَوْطِنُ
نَظَرِ اللَّهِ إِلَى
الْعَبْدِ وَمَكَانِ
تَعْظِيمِ شَعَائِرِهِ

الْقُلُوبُ مَوْضِعُ
العقل والعلم
والذِّينِ

الْجُمْلَةُ اسْتِثْنَاءٌ
بَيَانِيٌّ أَوْ حَالٌ
بَعْدَ اعْتِرَاضٍ

(1) الألويسي، روح المعاني: 9/ 144.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 56، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 257.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 106.

(4) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 16/ 9810.

(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 224.

في قوله: ﴿وَأَجَلْتُ لَكُمْ الْأَنْعَمُ﴾ [الحج: 30]، وما بينهما اعتراضات، أو حالٌ مِنْ ﴿شَعَتِرَ اللَّهُ﴾ على تفسيرها بنعم الهدى⁽¹⁾.

معنى اللام في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ﴾:

اللام لاختصاص
المسلمين
بالانتفاع إكراماً
لهم وتيسيراً في
شريعهم

اللام في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ للاختصاص والتَّمْلِيك، وضميرُ الخطابِ موجهٌ للمؤمنين، أي: لكم - أيُّها المؤمنون - دون غيركم فيها منافع إلى أجلٍ مُّسَمًّى⁽²⁾، وفي هذا الاختصاص والتَّمْلِيكِ تَكْرِيمٌ للمؤمنين الحجاجِ المعظمين لشعائرِ الله. وهذه المنافع إمَّا دنيويَّة: وهي الانتفاعُ بأسواقِ مَكَّةَ والتَّجَارَةُ فيها وقتَ المناسك، وبركوبِ الهدايا والحملِ عليها، وبشربِ ألبانها واستعمالِ أصوافها وأوبارها، إلى غيرِ ذلك من أوجهِ الانتفاعِ العاجلِ، وإمَّا منافعٌ أُخْرَوِيَّةٌ بالأجر والثَّوَابِ في أداءِ المناسك إلى انقضاء وقت الحجِّ⁽³⁾، فأما وجهُ اختصاصِ المخاطبين بالمنافع الأخروية؛ فظاهر، وأما اختصاصُهم بالمنافع الدُّنْيَوِيَّة؛ فلا باحةَ انتفاعِ المسلمين بالهدايا انتفاعاً لا يَتَلَفَهَا مع التَّعْرِضِ بِالرَّدِّ على المشركين الذين حرَّموا على أنفسهم الانتفاعَ بالهدايا بعد تقليديها وإشعارها⁽⁴⁾.

بلاغة استعمال حرف الجرِّ ﴿فِيهَا﴾:

شعائرُ الله
أُمِّهَاتُ الخَيْرِ
لِلطَّائِعِينَ

يدلُّ حرفُ الجرِّ (في) الواردُ في قولِ الحقِّ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ على ظرفيَّةِ الشَّعَائِرِ للمنافع التي تكونُ إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى، وفي التَّعبيرِ بهِ تصويرٌ للشَّعَائِرِ بصورةِ الأصلِ والمنبَعِ الذي تَكْمُنُ فيه المنافعُ تصويراً يتناغى مع الحثِّ إلى تعظيمِها في الآيةِ السَّابِقَةِ.

(1) ابن عاشور، التَّحْرِيرِ والتَّنْوِيرِ: 257 / 17.

(2) ابن عاشور، التَّحْرِيرِ والتَّنْوِيرِ: 257 / 17.

(3) البَغَوِيُّ، معالمُ التَّنْزِيلِ: 384 / 5.

(4) ابن عاشور، التَّحْرِيرِ والتَّنْوِيرِ: 258 / 17.

وَجَعَلَ الْمَنَافِعَ فِيهَا يَقْتَضِي أَنَّهَا انْتِفَاعٌ بِخَصَائِصِهَا مِمَّا يُرَادُ مِنْ نَوْعِهَا، فَفِيهِ تَشْرِيعٌ لِإِبَاحَةِ الْانْتِفَاعِ بِالْهَدَايَا انْتِفَاعًا لَا يُتْلَفُهَا، مَعَ الرَّدِّ عَلَى الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانُوا إِذَا قَلَّدُوا الْهَدْيَ، وَأَشْعَرَوْهُ؛ حَظَرُوا الْانْتِفَاعَ بِهِ مِنْ رُكُوبِهِ وَالْحَمَلِ عَلَيْهِ وَشُرْبِ لَبَنِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ⁽¹⁾.

تعيين مرجع الضمير في قوله: ﴿فِيهَا﴾:

الضمير في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ عائِدٌ عَلَى الشَّعَائِرِ بِتَفْسِيرِهَا بِالْبَدَنِ عَلَى الرَّاجِحِ⁽²⁾، أَيْ: لَكُمْ فِي الْبَدَنِ مَنَافِعٌ مِنَ الرُّكُوبِ وَالذَّرِّ وَالنَّسْلِ وَالصَّوْفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ⁽³⁾، وَقِيلَ: الضَّمِيرُ فِي ﴿فِيهَا﴾ عائِدٌ عَلَى الشَّعَائِرِ عَلَى الْعُمُومِ⁽⁴⁾.

الضمير عائِدٌ
على (البُذْنِ)

نكتة تأخير المُسْنَدِ إِلَيْهِ ﴿مَنَافِعُ﴾:

قَدْ دُمَّ شِبْهُ الْجُمْلَةِ الْمُشْتَمِلُ عَلَى ضَمِيرِ الْخَطَابِ ﴿لَكُمْ﴾ عَلَى ﴿مَنَافِعُ﴾ فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لَلْاهْتِمَامِ بِالْمُقَدَّمِ، وَتَعْجِيلِ مَسَرَّةِ الْمُؤْمِنِينَ حِينَ يَطْرُقُ سَمْعُهُمْ كَوْنُ الْمَنَافِعِ الَّتِي فِي الْبَدَنِ لَهُمْ؛ لِأَنَّ السِّيَاقَ لِلَامْتِنَانِ عَلَيْهِمْ، وَفِي التَّقْدِيمِ تَقْوِيَةً لِلَامْتِنَانِ.

الاهتمامُ بِالْمُقَدَّمِ
وتعجيلُ لِلْمَسَرَّةِ

وَأَمَّا الْمُشْتَمِلُ عَلَى ضَمِيرِ الشَّعَائِرِ ﴿فِيهَا﴾؛ فَتَقْدِيمُهُ عَلَى ﴿مَنَافِعُ﴾ لِمُنَاسَبَةِ السِّيَاقِ بِتَعْظِيمِ الشَّعَائِرِ وَزِيَادَةِ الْاهْتِمَامِ بِهَا، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْإِشْعَارِ بِانْحِصَارِ النَّفْعِ وَالْخَيْرِ فِي الْهَدَايَا أَوْ فِي عُمُومِ الْمَنَاسِكِ، مَبَالِغَةً فِي الْحَثِّ عَلَى تَعْظِيمِ الشَّعَائِرِ وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهَا.

نكتة التَّعْبِيرِ بِجَمْعِ الْكَثْرَةِ ﴿مَنَافِعُ﴾:

يَدُلُّ التَّعْبِيرُ بِصَيغَةِ جَمْعِ الْكَثْرَةِ فِي قَوْلِ الْحَقِّ جَلَّتْ كَلِمَتُهُ:

الإِشْـأَـرَةُ إِلَى
تَعَدُّدِ الْمَنَافِعِ
وَتَنَوُّعِهَا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 257 / 17.

(2) الرَّجَاحُ، معاني القرآن وإعرابه: 426 / 3، وأبو حيان، البحر المحیط: 507 / 7، وأبو السَّعُودِ، إرشاد العقل السَّليم: 106 / 6.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 56 / 12.

(4) السَّمين، الذُّرُّ لِلصَّوْنِ: 273 / 8، والشَّوكَانِي، فتح القدير: 535 / 3.

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ على تعدّد منافع البدن وتنوعها من ذرها ونسلها وصوفها وظهرها ونحو ذلك⁽¹⁾، وفي هذا الجمع مناسبة لسياق الامتنان، وزيادة لمسرّة المؤمنين المخاطبين.

غرض استعمال حرف الجرّ ﴿إِلَى﴾:

يدلّ التعبير بحرف الجرّ ﴿إِلَى﴾ الدالّ على انتهاء الغاية الزمانيّة في قوله جلّ شأنه: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، على أنّ جلّ الانتفاع بالهدايا مؤقّت بوقت معلوم ينتهي عنده، وفي التعبير بذلك تنبيه للمسلمين لئلا يتجاوزوا الحدّ في انتفاعهم بها، وقد اختلف في هذا الوقت المعلوم هل هو وقت بعثها هدّياً أو وقت نحرها⁽²⁾.

غرض تنكير ﴿أَجَلٍ﴾:

تنكير ﴿أَجَلٍ﴾ في قول الحقّ جلّ وتبارك: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ للإفراد، والمعنى: (لكم فيها - أيها المؤمنون - منافع إلى فردٍ من أفراد الجنس المسمّى بالأجل).

سرّ ذكر الوصف ﴿مُسَمًّى﴾:

في وصف الأجل بكونه مُسمّى في قول الله تعالى شأنه: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ تأكيد لكون الانتفاع بالهدايا مؤقّتا بغاية معلومة لا ينبغي للمسلمين تجاوزها إلى ما بعدها، فإنّ اللائق بالشّيء العظيم تفصيل الحديث عنه وكماله، وقد اختلف في هذا الأجل المسمّى؛ فقيل: هو وقت تقليدها، وقيل: هو وقت نحرها⁽³⁾.

بلاغة حرف العطف ﴿ثُمَّ﴾:

﴿ثُمَّ﴾ في الأصل للتراخي في الوقت استعيرت في قول الله جلّ ذكره: ﴿ثُمَّ مَحَلَّهَا إِلَى آلِ بَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ للتراخي في الأحوال، والمعنى: (لكم

الدّلالة على
انتهاء مُدّة
الانتفاع

من تعظيم
الشّعائر تأكيد
توقيت الانتفاع

الدّلالة على
التراخي في
الرتبة

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 224 / 23، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 106 / 6.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 624 / 18.

(3) ابن جرير، جامع البيان: 624 / 18.

في الهدايا منافع كثيرة في دُنياكم ودينكم)، وإنَّما يعتدُّ اللهُ بالمنافع الدِّينية، قال سبحانه: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾⁽¹⁾ الأنفال: 67، وأعظمُ هذه المنافع وأبعدها شَوْطًا في النَّفْعِ مَحِلُّهَا إلى البيتِ⁽¹⁾، وفي ذلك بيانٌ كونِ نفسِ النَّحْرِ منفعةً⁽²⁾ مع الإِبلَاغِ في تعظيمِ منفعتها.

دلالة الاسم المُستَقَّ «مَحِلُّهَا»:

﴿مَحِلُّهَا﴾ في قوله عِلَّتْ كَلِمَتُهُ: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ اسمُ زمانٍ، أي: وقتٌ وجوبِ نَحْرِهَا، وقيل: يجوزُ أَنْ يَكُونَ مصدرًا ميميًّا بمعنى الوجوبِ مِنْ حَلِّ الدِّينِ؛ إذا وجبَ، أي: وجوبُ نَحْرِهَا⁽³⁾، وقيل: هو مصدرٌ ميميٌّ مِنْ حَلِّ يَحُلُّ؛ إذا بلغَ المكانَ، واستقرَّ فيه⁽⁴⁾.

بلغة الكناية في قوله: ﴿مَحِلُّهَا﴾:

على القولِ بأنَّ المَحْلَ في قوله جَلَّ وتبارك: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ مصدرٌ ميميٌّ مِنْ حَلَّ يَحُلُّ؛ إذا بلغَ المكانَ، واستقرَّ فيه، يكونُ قوله: ﴿مَحِلُّهَا﴾ كنايةً عن نهايةِ أمرِ الهدايا، كما يُقالُ: بلغَ الغايةَ، ونهايةَ أمرِها النَّحْرُ أو الذَّبْحُ⁽⁵⁾.

نكتة تقديم المُسَنِّدِ إليه «مَحِلُّهَا»:

قدَّمَ المُسَنِّدُ إليه «مَحِلُّهَا» في قولِ الله تعالى شأنه: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ على الأصلِ في التَّرتيبِ، وللعنايةِ بالمُقَدِّمِ، وهو وقتُ وجوبِ النَّحْرِ أو وجوبِ النَّحْرِ، ولمَّا كان المقصودُ تعظيمِ مَحِلِّهَا - بجعله نفسه منفعةً - كان اللَّائِقُ به التَّقديمُ، فهو رأسُ معنى جملته؛ ولأنَّ في تأخيرِ قوله: ﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ مراعاةً لملاءمةِ فاصلةِ الآيةِ لما قبلها وما بعدها مِنْ الفواصلِ.

المَحْلُ اسمُ زمانٍ
أو مصدرٌ ميميٌّ

المَحْلُ كنايةٌ عن
نهايةِ أمرِ الهدايا

التَّقديمُ على
الأصلِ للعنايةِ
بالمُقَدِّمِ ولرعايةِ
الفاصلةِ

(1) الرَّمْخَشَرِيُّ، الكَشَاف: 157/3، وأبو حَتَّان، البحر المحيط: 507/7.

(2) الألوَسِيُّ، روح المعاني: 146/9.

(3) الخَفَاجِيُّ، عناية القاضِي: 296/6، والقونوي، حاشيته على تفسير البياضوي: 61/13.

(4) ابن عاشور، التَّحْريِر والتَّنْوير: 258/17.

(5) ابن عاشور، التَّحْريِر والتَّنْوير: 258/17.

وإنما بُحِثَ في هذا التّقديم؛ لأنّ الجملة التي قبل هذه الجملة آخر فيها ذِكرُ المُسندِ إليه: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾، فكان نَظْمُهُ في هذه غيرَ مُشاكلٍ لَنَظْمِهِ في تلك، فَبُحِثَ في عِلَّةِ نَظْمِهِ على الأصل.

براعة استعمال حرف الجرّ ﴿إِلَى﴾:

الدّلالة على
انتهاء غاية
مكانية

﴿إِلَى﴾ في قوله جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ لانتهاء الغاية؛ وهي هنا غاية مكانية، أي: ثُمَّ مَحِلُّهَا مُنْتَهِيَةً إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، والمُرَادُ به ما يليه بعلاقة المُجاورة، فإنّها لا تنتهي إلى البيت نفسه، وإنّما تنتهي إلى ما يَقْرُبُ منه، وقد جُعِلَتْ مِنْى وَالْمَرْوَةُ وطُرُقُ مَكَّةَ مَنَاحِرَ⁽¹⁾، وَمِنْ بَرَاةِ التَّلَاوُمِ وَالتَّنَاسُبِ فِي الْآيَةِ: أَنَّهُ قَدْ ذُكِرَتْ هُنَا غَايَةً مَكَانِيَّةً، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ غَايَةٍ زَمَانِيَّةٍ فِي قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

نكتة ذِكرِ البيتِ العتيق:

البيتُ أشرفُ
الحَرَمِ ومقصد
الحجاج

أما على القولِ بأنَّ الشّعائرَ هي المناسك؛ فذِكرُ البيتِ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ على حقيقته، أي: مَحِلُّ النَّاسِ مِنْ إِحْرَامِهِمْ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، بأن يطوفوا به طوافَ الزّيادة يومَ النّحر، وأما على القولِ بأنَّ الشّعائرَ هي الهدايا؛ فإنَّ المُرَادَ بالبيتِ في قوله: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾: الحَرَمُ، أي: مَنَحَرُهَا فِي الْحَرَمِ الْمُحِيطِ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ⁽²⁾، وَجَوُزَ إِطْلَاقِ الْبَيْتِ عَلَى حَرَمِهِ كُلِّهِ أَنَّ الْحَرَمَ - الَّذِي هُوَ حَرِيمُ الْبَيْتِ - فِي حُكْمِهِ، كَقَوْلِكَ: بَلَّغْنَا الْبَلَدَ، وَإِنَّمَا شَارَفْتُمُوهُ، وَاتَّصَلَ مَسِيرُكُمْ بِحُدُودِهِ⁽³⁾.

وَاخْتَلَفَ فِي سَبَبِ ذِكْرِ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ دُونَ الْحَرَمِ، فَقِيلَ: ذُكِرَ الْبَيْتُ؛ لِأَنَّهُ أَشْرَفُ الْحَرَمِ⁽⁴⁾، وَقِيلَ: لِأَنَّ التَّقَرُّبَ بِالْهَدَايَا بِوَسْطَةِ

(1) الألو سيّ، روح المعاني: 146 / 9.

(2) البغويّ، معالم التّنزيل: 385 / 5.

(3) الرّمخسريّ، الكشاف: 157 / 3.

(4) ابن عطية، المحرّر الوجيز: 121 / 4.

تعظيم الكعبة، إذ الهدايا إنما سُرعَتْ تكملةً لشرع الحج، والحجُّ قصدُ البيتِ، كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران: 97]، فالهدايا تابعةٌ للكعبة، قال تعالى: ﴿هَذَا بَلِغُ الْكَعْبَةِ﴾ [الأنعام: 95]، وإن كانت الكعبة لا يُنحرُ فيها، وإنما المناحرُ منى والمروة وطُرقُ مكة بحسبِ أنواع الهدايا⁽¹⁾، ففي ذكر البيت تعظيمٌ للنحر، كما عظم بتعظيم محلها، وتكملةٌ للامتنان بمنافع الشعائر، فإن البيت ذو منافع لهم أيضاً.

نكتةٌ وصفِ البيتِ بالعتيق:

قيل في سبب وصفِ البيتِ بالعتيق في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾: إنه سُمِّيَ بذلك؛ لأنه قديمٌ إذ هو أولُ بيتٍ وُضِعَ للنَّاسِ، وقيل: لأنه أُعتِقَ من الجبابة، كم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله؟ وقيل: لأنه لم يملك قط، وقيل: لأنه أُعتِقَ من الغرقِ زمنَ نوحٍ عليه السلام، وقيل: لأنه بيتٌ كريمٌ من قولهم: عتاق الخيل والطَّير⁽²⁾، وقيل: لأنَّ الله تعالى يُعتِقُ فيه رِقَابَ المُذْنِبِينَ من العذاب⁽³⁾، وكلُّ هذه الأوصاف تقتضي التَّشْرِيفَ والتَّعْظِيمَ، ولا يمتنع الجمعُ بينها.

بلادةٌ ردَّ العجزِ على الصَّدْرِ

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ردٌّ للعجزِ على الصَّدْرِ باعتبارِ مبدأ هذه الآيات، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ [الحج: 26]⁽⁴⁾، فقد افْتُتِحَتِ الآياتُ بذكر البيتِ، واختُتِمَتْ بذكره، وفي ذلك تأكيدٌ لكونِ مدارِ الحجِّ على قصدِ البيتِ.

العتيقُ وصفٌ
تشريفٍ
وتعظيمٍ حاملٍ
لعدَّةٍ معاني

زيادةٌ زبِطُ أجزاءِ
الكلامِ وإشارةٌ
إلى وحدةٍ
مَقْصِدِهَا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 258 / 17.

(2) الرَّمْخَشَرِيُّ، الكشاف: 3 / 153.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4 / 119.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 258 / 17.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الفؤادُ والقلبُ:

الفؤادُ محلُّ
التَّوقُّدِ
والعواطفِ
والقلبُ محلُّ
القوَّةِ والعزمِ

قِيلَ: الفؤادُ كالقلبِ، لَكِنْ يُقَالُ لَهُ: فُؤَادٌ؛ إِذَا اعتَبِرَ فِيهِ معنى التَّوقُّدِ، يُقَالُ: فَادَّتْ اللَّحْمَ: شَوِيَّتَهُ، وَلَحِمَّ فَتَيْدٌ: مَشَوِيٌّ، قَالَ تعالى: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۖ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۖ﴾ [الهمزة: 6-7]، وتخصيصُ الأفئدةِ تنبيهٌ على فَرَطِ تأثيرِ له⁽¹⁾، وقِيلَ: الفؤادُ أَلْيَنُ مِنَ القلبِ، وَلِذَلِكَ يَكُونُ مَحَلًّا لِلْعَوَاطِفِ، وَلِمَا خَفَّ شَأْنُهُ، وَيَكُونُ القلبُ مَحَلًّا لِمَا عَظُمَ شَأْنُهُ مِنَ الْعَزْمِ وَالتَّمَكُّنِ وَالِاعْتِقَادِ⁽²⁾.

(1) الرَّاغِب، المُفْرَدَات: (فأد).

(2) زيدان، الفُروقُ اللُّغَوِيَّةُ، ص: 665 - 675.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والثلاثون،
سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحج الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحج الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 34، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-76-1

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 34: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحج الآية 50.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-76-1

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-3990244 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»